تعليم الوحدات الصرفية في اللغة العربية

دراسة نقدية على ضوء مفاهيم المدرسة الخليلية الحديثة

أ. حميدي بن يوسف

(جامعة يحي فارس المدية)

تقديم:

يُعد علم الصرف من علوم العربية التي تدرس المستوى اللفظي من مستويات بناء الكلام، ولا أحد ينكر أهميته، إذ يكفي تدليلا على ذلك أن يتوقف تحديد دلالة قول ما على بنية لفظة واحدة فيه، فيتغير المقصد تماما بتغيّر تصريف تلك الكلمة، كما أنّه "به تُعرف سعة كلام العرب، وتنجلي فرائد مفردات الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية"[1]. كما أنّه على أساس البنية الصرفية للغات، تقسم هذه الأخيرة إلى ثلاثة أنماط (نمط عازل واشتقاقي وإلصاقي). ولما كان علم الصرف على هذا القدر من الأهمية، استلزم ذلك استثمار كل المعارف والنظريات اللسانية والتعليمية في سبيل تطوير تدريسه.

تُعدّ العربية من اللغات التي تنتمي إلى النمط التصريفي، وهو النمط الذي تكون فيه "الكلمات مشتملة على مورفيمات [وحدات صرفية]

1 أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، ص. 07.

نحوية تحدد وظيفتها"[2]. و"تحتوي الكلمة الواحدة على عدد من الوحدات الدلالية التي يصعب إلحاقها إلى الأجزاء المختلفة للمفردة ككل، ثمّ إنّ العلاقات النحوية بين مفردات الجملة الواحدة لا تُظهرها إلاّ الحركات الإعرابية الخاصة بالرفع والنصب والجر"[3]. ويُفهم من هذا التحديد للنمط التصريفي أنّ الوظيفة النحوية أو الصرفية الواحدة لا يمكن أن تتجسد في وحدة لغوية مستقلة عن جذر الكلمة، أو متصلة بالجذر وفق مبدأ الإلصاق، بل تتحدد تبعا لما يلحق صيغة الكلمة كلها من تغير. ووفقا لما سبق فالبنية الصرفية للغة العربية حساسة جدا، إلى درجة أنّ أي تغيّر طفيف فيها يؤدي إلى تغيير معنى العبارة ككل.

1 ــ الوحدة الصرفية في اللسانيات الغربية:

يُدرك المطلع على عدد من المعاجم الفرنسية أو الإنكليزية المتخصصة في مجال المصطلحات اللسانية بأنّ المصطلح الشائع الذي يوافق مفهوم الوحدة الصرفية هو مصطلح المورفيم، Morphème، على الرغم من أنّ المدرسة الوظيفية في اللسانيات تفضل استعمال مصطلح المونيم، وتميّز بينه وبين المورفيم من منطلق أنّ المورفيم يمثل أحد مكوني المونيم فقط.

يُعرّف المورفيم على أنّه "أصغر وحدة [لسانية] حاملة لدلالة، وقابلة للتجزئة، [إلى وحدات أصغر منه] خلافا للمعنم (Le sème) الذي يعد الوحدة الدنيا للدلالة غير القابلة للتجزئة"[4]، ولكن إذا سلمنا بقابلية المورفيم للتقسيم إلى وحدات أدنى منه، فإنّ الناتج لن يكون أبدا وحدة

- 2Jean Dubois (et al.), Dictionnaire de linguistique, Larousse, 2éd, 2002, p 204.

3- أحمد مومن، مبادئ في اللسانيات، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002)، ص. 80.

- 4Frank Neuveu, Dictionnaire des sciences du langage, (Armand Colin, Paris, 2004), p. 196.

ذات دلالة، بل نكون بعد التجزئة "قد انتقلنا إلى مستوى لساني أدنى، وهو المستوى الصوتي الخالي من الدلالة"[5].

ويمكن التمثيل عليه في اللغة الفرنسية "بملفوظ مثل: Les boxeurs souffrent الذي يتكون، بالنظر إلى المستوى الكتابي، من سبعة مورفيمات:

."[6] le + s +box + eur + s + souffr + ent

ويظهر من خلال هذا المثال أنّ المورفيم يتكون من الوحدات ذات الدلالة المعجمية والنحوية على حد سواء، وهذا خلاف للطرح الوظيفي الذي يحاول، في سياق التمييز بين المونيم والمورفيم، حصر مفهوم المورفيم في الوحدة اللسانية التي تحتوي على دلالة نحوية أو صرفية فقط، بينما المونيم فهو مشتق من "الإغريقية Monos التي تعني "وحيد"، (...) واستعمله أندري مارتيني ليعني به الوحدات الدلالية الصغرى الناتجة عن التقطيع الأول للغة"[7]. أي أنّ المورفيم مكون نحوي (أو صرفي) ينضاف إلى المكوّن المعجمي الذي هو اللكسيم لتشكيل المونيم.

ويُعرّف المورفيم أيضا تعريفا آخر على أنّه "وحدة مجردة تضم مجموعة من الافتراضات الصورية، بحيث أنّ التحقيقات الفعلية له يُجسدها المورف"[8]. وهذا التعريف لا يناقض التعريف السابق بل ينظر إليه من زاوية أخرى، وفق ثنائية التجريد والتحقق، فالمورفيم وفق هذا التعريف

5 - Ibid, p. 196.
6- Jean Dubois (et al.), Dictionnaire de linguistique, p. 310.
7- Frank Neuveu, (Op. Cit), p. 195.
8 -Ibid, p 196.

هو وحدة دلالية ذهنية مجردة يمكن الوصول إليها من خلال حصر أو جمع الخصائص الموجودة في مجموعة المورفيمات المجسّدة له أثناء التأدية الفعلية (أثناء عملية التلفظ). ففي اللغة الفرنسية "يتحقّق المورفيم "aller" من خلال ثلاثة مورفات: i ,-all-, v-, في قولنا allons, vais, ira"[9]. فهذه المورفات وإن اختلفت في شكلها فإنها تحيل إلى دلالة واحدة، وهي الدلالة التي يحملها الفعل "aller".

وبخصوص نظرية النحو التوليدي التحويلي (في اللسانيات) فإنها تنظر إلى المورفيم على أنّه "عنصر ينتمي إلى البنية العميقة [للجملة]، ويقابل المكوّن "formant" الذي يعدّ عنصرا من البنية السطحية"[10].

وبصرف النظر عن الاختلافات الموجودة بين النظريات اللسانية في تحديدها لمفهوم المورفيم، وهي الاختلافات التي قد تكون نابعة من اختلاف في المرجعية النظرية لكل مدرسة، يمكن القول بأنّها (أي النظريات) تتفق حول خاصية أساسية من الخصائص المشكلة لمفهومه، وهي تلك التي تؤكّد على أنّ المورفيم هو أصغر وحدة لسانية تحتوي على وحدة دلالية (كاملة) وليس جزءا من دلالة، سواء كانت هذه الوحدة نحوية أو معجمية أو هما معا.

ووفقا لهذا الحد الأدنى من الاتّفاق، سنحاول فيما يأتي الوقوف عند بعض الأمثلة من المستوى الصرفي في اللغة العربية التي عدّها بعض اللسانيين

---

9 Jean Dubois, (Op. Cit), p. 310.
(يُقصَد بالمورف أحد التحقيقات الفعلية للمورفيم في الكلام).

10- Ibid. p. 311.

العرب مورفيمات لها دلالة صرفية كاملة، وهي تُدرّس في برامجنا التعليمية الخاصة بالمستوى الصرفي على أنّها كذلك.

2 ــ الوحدة الصرفية (المورفيم) عند اللسانيين العرب المحدثين:

يورد بعض اللسانيين العرب المحدثين في كتاباتهم الخاصة بالمستوى الصرفي من اللسان عددا من الأمثلة التي تجسّد مفهوم المورفيم وأنواعه، فهذا محمّد محمّد داوود في كتابه: العربية وعلم اللغة الحديث، لمّا تحدّث عن المورفيمات التي تظهر في شكل سوابق (في العربية) ذكر "حروف المضارعة (...) والمجموعة في كلمة أنيت"[11]. وكذلك الشأن بالنسبة لأحمد محمد قدّور في كتابه: مبادئ في اللسانيات، الذي اعتبر "الألف والسين والتاء [مورفيما] في قولنا: «استغفر ربّه»، والألف والتاء في قولنا: «اجتمع القوم» ونحو ذلك"[12].

ونفس الأمر ينطبق على الهمزة التي تكون في أول الفعل حيث عدّها أحمد محمد قدور مورفيما سابقة حاملا لمعنى التعدية في وزن (أفعل)[13]. وكذلك فعل إبراهيم خليل حين اعتبر الهمزة في أول الفعل مورفيما اشتقاقيا تؤدي إضافته لجذر الكلمة إلى قلب معناها الأصلي، في مثل "شفى وأشفى، عجَم وأعجم"[14]

---

11 –محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، (دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، 2001)، ص. 161.

12 –أحمد محمد قدّور، مبادئ في اللسانيات، (دار الفكر، دمشق، 1999)، ط2، ص. 150.

13 – المرجع نفسه، ص. 149.

14 – إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، (دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007)، ص. 75.

وبخصوص كيفية استخراج المورفيم يرى أحمد محمد قدّور بأنه علينا أنْ "ننظر فيما هو زائد على الأصول (فَعَلَ)، فنرى أنّ الألف والسين والتاء هي الزوائد التي لحقت الأصل وشكّلت معه مبنى الصيغة الكلي. ولأنّ هذه الحروف قابلة للعزل والإلصاق فهي تُعدّ مورفيمات ذات دلالة معيّنة كالطلب والصيرورة ونحو ذلك"[15].

ولئن بدا بأنّ مقياس العزل والإلصاق مقياسا صحيحا، إذ على ضوئه نعرف الوحدة اللغوية الجارحة عن الأصل من الوحدة البانية له، فإنّه عند تطبيقنا لهذه القاعدة على الأمثلة التي ذكرها أحمد محمد قدور، بحذفنا للألف والسين والتاء، فإننا لا نصل إلى الأصل، بل نصل إلى لفظ: غْفَرَ، إذا كان المحذوف منه هو كلمة استغفر. وواضح أنّ هذا الناتج لا يُعدّ أصلا، وليس له بنية معروفة في العربية. كما أنّه لا يمكن الإقرار بأنّ اللفظ اكتسب معنى الطلب والصيرورة من الزائدة "است" فقط، بل من صيغة استفعل ككل، فلو كان ذلك كذلك واعتمدنا على الظاهر فقط دون تمييز بين الحروف الأصلية والزوائد لكان الفعل "استلّ" مثلا يدلّ على الطلب والصيرورة من ضمن ما يدلّ عليه.

وبخصوص الدواخل اعتبر صيغة عبد الوهاب شحاتة الألف في جمع التكسير مورفيما، نفرّق من خلاله بين المفرد والجمع في "مثل: رجل: رجال، فرَس: أفراس"[16]، فهي حسبه مَن أضفى بمفرده معنى الجمع على

15 -أحمد محمد قدور، المرجع السابق، ص. 155.

16 - عبد الوهاب شحاتة، "أنواع المورفيم في العربية"، مجلّة علوم اللغة، (دار غريب، مصر، 1998)، مج29، ع2، ص. 213.

الصيغة. وواضح أنّ معنى الجمع يتأتى من الوزن (المثال) ولا تأثير للألف في التمييز بين الجمع والمفرد إلاّ ضمن الصيغة كلها. كما أنّه لا يمكن لنا الفصل بين المعنى الصرفي والمعجمي، مما حدا بأندري مارتيني إلى نعت هذه المونيمات بالممزوجة (amalgamés)

ونجد أحمد محمد قدور ينحو المنحى ذاته في اعتبار الألف مورفيما دالا على الفاعلية ودالا على الفعل الثلاثي المزيد، فأثناء تمثيله للدواخل يقول: "وأمثلتها في العربية عديدة منها (...) ألف فاعل من الثلاثي للدلالة على اسم الفاعل، ومنها ألف وزن فاعَل للدلالة على الثلاثي المزيد ونحو ذلك"[17].

من خلال الأمثلة المعروضة سابقا يظهر بأنّ أصحابها قد أسندوا إلى بعض الحروف في أوّل الكلمة وفي وسطها دلالة صرفية مستقلة معتبرين إياها مورفيمات، ولكن الحقيقة غير ذلك؛ لأنّ المورفيم كما رأينا ذلك عند اللسانيين الغربيين، يُشترط فيه اشتماله على دلالة على الأقل، بينما الحروف الزائدة التي ذكرها الباحثون العرب لا تشكّل وحدة دلالية كاملة ومستقلة، ولكّنها تُساهم مع غيرها من الحركات في بناء الدلالة. وإنّ عدّهم لتلك الحروف وحدات صرفية دالة لهو إقرار فيه كثير من التعسّف. وهذا ما يُقرّه عبد الرحمن الحاج صالح، في سياق حديثه عن مفهوم البناء في مستوى الكلمة.

17 - أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، ص. 150.

3 ــ الوحدة الصرفية في النظرية الخليلية الحديثة:

يقترب مفهوم الوحدة الصرفية في النظرية الخليلية الحديثة من مفهوم صرفي أساسي في النظرية وهو الكلمة[18]. ويُعرّف عبد الرحمن الحاج صالح الكلمة في هذه النظرية "على أنّها كل قطعة صوتية دالة غير قابلة للتحليل إلى عناصر مقطعية صغرى. ولها استقلالية تسمح لها بالظهور في إحدى مواضع اللفظة. كما يمكن لها أن تتعاقب مع عناصر [لغوية] أخرى بما فيها العنصر العدمي"[19].

ويُفهم من خلال قوله "ولها استقلالية تسمح لها بالظهور في إحدى مواضع اللفظة" أنّ الكلمة ترتبط مع الكلمات داخل اللفظة وفق علاقة وصل لا علاقة بناء، أي وفق ضمّ الوحدات الصرفية إلى بعضها البعض. أمّا في قوله يمكن أن تتعاقب مع عناصر أخرى، فيقصد به أنّه يمكن استبدالها في نفس الموضع بكلمة أخرى، كأن تتعاقب نواصب الفعل المضارع مع بعضها. ويبدو أنّ حكم التعاقب بين الكلمات أيضا ينطبق على العنصر اللغوي العدمي، إذ يمكنه أيضا أن يشغل موضع الكلمة، فـــالسابقة "لن" يمكن أن تعوّض بعنصر عدمي يرتبط بعلاقة وصل مع

18 – يُفرّق عبد الرحمن الحاج صالح بين المورفيم والكلمة بالنظر إلى مبدأ التعاقب مع العنصر اللغوي العدمي أو الصفري، فهو يعتبر أنّ الحروف التي يُسمونها "بأحرف المضارعة" تتعاقب فيما بينها، إذ يمكن أن يحل أحدهما مكان الأخر في بنية الفعل المضارع، ولكن لا يمكن لها أن تُعوّض بالعنصر العدمي دون إخلال بالبنية الخاصة بالفعل المضارع. وهذا خلافا للكلمة التي يمكن أن تتعاقب مع العنصر العدمي دون إخلال بالبنية الأصلية للعنصر اللغوي. (يُنظر: Hadj-Salah, A, Linguistique arabe et linguistique générale (Essai de méthodologie et D'épistémologie du 'ilm al-'arabiyya, T2, p. 170).

19 Hadj-Salah, A, Linguistique arabe et linguistique générale, T2, pp. 169-170.

الفعل المضارع. وهذا ما يؤكّده قول الحاج صالح أنّ "الوصل يحصل في داخل اللفظة، أما البناء فهو يحدث في داخل الكلمة، وكذلك داخل النواة التركيبية"[20].

ويُحدد البناء في النظرية الخليلية بكيفية عامة على أنّه "إدراج عنصرين في بنية واحدة"[21]، كما أنّه يحدَّد عند النحاة الأوائل وفق أكثر من تحديد، غير أنّ الذي يهمنا هو التحديد الأول الذي يعتبره "ظاهرة تُحدث دائما تغييرا بنويا جزئيا للعنصر الأول (...) إذن فالمقياس الذي نقيس به هذا البناء هو هذا التغيير الذي يطال صورة العنصر الأول، فـــ "ـــ كْرِمْ" في "مُكْرِمْ" ليس له أي وجود في الوضع اللغوي (...) ولا يكون هناك بناء بهذا المعنى الأول إذا كان هذا الحذف أو هذا الإلحاق يترك العنصر الأول سليما، كما هو الحال بالنسبة لـــ "ال" التعريف، أو التنوين..."[22].

وتبعا لهذا المفهوم الخاص بالبناء[23] الذي يجعل من الكلمة كتلة واحدة، بحيث أن أيَّ حذف فيها يؤدّي إلى الإخلال بالبنية الصرفية للوحدة، بل إنّ العنصر الناتج قد لا ينتمي إطلاقا إلى العربية، فإنّه لا يمكن عدّ الأحرف التي تكون في أوّل الفعل المضارع كلمات، والشأن نفسه بالنسبة للألف في صيغة فاعل وغيرها من الأحرف التي تدخل في علاقة بناء مع غيرها لتشكيل الكلمة.

---

20 عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007)، ج1، ص. 222.

21Hadj-Salah, A, Linguistique arabe et linguistique générale, (Op. Cit.), T2, p. 166.

22Ibid. p. 167.

23 -يمكن الإشارة إلى أن الحاج صالح أورد نوعا من أنواع البناء، ولكنه مزجي، وهو ما يحدث ضمن النواة التركيبية، بحيث أنّ حذف العنصر اللغوي الثاني المرتبط مع الأول، يهدم الوحدة بين العنصرين فقط، ولكن لا يُغيّر من بنية العنصر الأول.

ويُستنتج من خلال ما سبق أنّ البنية الصرفية للغة العربية في مستوى الكلمة ليست ذات طبيعة إلصاقية وصلية، تحصل بضم الأحرف إلى بعضها البعض، كما أنّ تحليل الكلمة في العربية لا يمكن أن يُحدد وفق تقطيع خطي، هذا ما يؤكّده الحاج صالح مستغربا تلك النزعة التقطيعية التي ترى بأن بنية اللغات تتجسد فقط وفق محور تركيبي فقط. يقول الحاج صالح: " وما دمنا بصدد الكلام عن صيغ الكلم فإننا نعتقد أنّ النزعة التقطيعية الساذجة لا يمكنها أبدا أن تحلّل بكيفية مُرْضية وعلمية الكلم العربية، بل والكثير من الدوال في عدد من اللغات كالإنكليزية والألمانية، إذ ليست كلّ اللغات بُنيت دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى. فهناك من الوحدات الدالة ما ليس من قبيل القطع إطلاقا. وإذا حاول البنوي أن يُسلّط تحليله التقطيعي على كلمة مثل «أصحاب» فإنّه سيتعسّف عندما يُحاول أنْ يجد أيّ قطعة فيها تدلّ على الجمع! "[24].

ويمكن اعتبار هذا النقد الأخير الذي ذكره الحاج صالح نقداً لبعض اللسانيين العرب المُحدثين المشار إليهم سلفا الذين يعتبرون الحروف الزائدة التي تكون ضمن الكلمة وحداتٍ صرفية لها دلالة صرفية مستقلة. وهو من جهة أخرى يُنبئ عن عدم وعي لديهم بالبنية الصحيحة للسان العربي في مستواه الصرفي .

24 عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007)، ج1، ص. 213.

4 ــ الوحدات الصرفية في الكتاب المدرسي الجزائري للغة العربية:

من خلال الاطّلاع على الكتاب المدرسي الخاص باللغة العربية الموجّه إلى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي، الصادر عن وزارة التربية الوطنية الجزائرية، وبالضبط في الوحدة القواعدية الخاصة بتدريس الفعل المضارع، لاحظنا أنّ المشرفين على تأليفه اعتمدوا في تحديد الفعل المضارع، وتمييزه عن غيره من الكلمات، على بعض الحروف التي تُنعت بأحرف المضارعة، والتي يعتبرها عدد غير قليل من الباحثين اللسانيين العرب المعاصرين مورفيمات تحوي دلالة صرفية مستقلة مثلما هو الأمر بالنسبة إلى لمحمد محمّد داود، وفضلا عن ذلك فقد اعتُبرت لديهم مؤشّرا حاسما في تحديد الفعل المضارع.

وقد تمّ التمثيل لذلك بالفعل "سمع" الذين يُصرَّف على عدد من الضمائر، ثمّ يُلوَّن الحرف الأول المتمثّل في الألف والنون والتاء بلون مغاير تأكيدا على أنّ معنى المضارعة اكتسبه الفعل بسبب وجود هذا الحرف في أوّل الصيغة، كما يوضحه الرسم التالي المأخوذ من كتاب اللغة العربية الخاص بهذا المستوى:

الفعل المُضارع مع ضمائر المتكلّم والمُخاطَب:

المتكلّم	المُخاطَب		
أنا أسْمعُ	أَنْتَ تَسْمَعُ	أَنْتُما تَسْمَعانِ	أَنْتُمْ تَسْمَعــونَ
نحنُ نَسمعُ	أَنْتِ تَسْمَعــينَ	أَنْتُما تَسْمَعانِ	أَنْتُنَّ تَسْمَعــنَ

(جدول تصريفي للفعل المضارع (سمع) مع ضمائر المتكلّم والمخاطب) [25]

وبالنظر إلى الحقيقة اللسانية الخاصة ببنية اللغة العربية في مستواها الصرفي، كما يراها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، يبدو أنّ الميزان الصرفي هو الذي أكسب الفعل دلالة المضارعة، وليست الألف أو التاء أو النون كما في الأمثلة السابقة. ومعنى ذلك أنّ دلالة المضارعة حصلت من إضافة الألف المفتوحة وإسكان السين وفتح الميم أي من مجموع التغيرات التي طرأت على الصيغة، من إضافة الحروف وقلب الحركات أو إسكانها أو تحريك السواكن. ولكن لماذا نركّز على الألف أو التاء أو النون أو الياء على الرغم أنّها لم تحمل وحدها معنى المضارعة، وإنما ساهمت فقط مع غيرها في إنتاج هذه الدلالة؟!.

25 يُنظر: كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، (الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر)، ص. 67.

يمكن أن نعتبر أنّ المشرفين كانوا على وعي بذلك[26]، ويمكن تبرير هذا الإجراء بالرجوع إلى قدرات المتعلّم، إذ ربّما يرون بأنّ التلميذ في هذا المستوى يفتقر إلى حسّ تجريدي يسمح له بتمثّل مفهوم الميزان المجرّد، وعليه فإنّهم يركّزون على التغيير الظاهر فقط ألا وهو إضافة أحد هذه الحروف التي تسمّى بالزائدة (أنيت)، ويحاولون ربط معنى المضارعة به، على الرغم من أنّ هذا مناف للحقيقة اللسانية. ولو عدنا إلى النظرية الخليلية الحديثة لوجدنا بأنّ الحاج صالح لم ينظر إليها على أنّها زوائد إلصاقية، بل جعلها من مكوّنات الكلمة التي تعقد مع الوحدات الصوتية الأخرى علاقة بناء لا مجرّد علاقة وصل.

ثمّ إنّ الطفل إذا ارتبط لديه معنى المضارعة بهذه الحروف يمكن أن يعمّم الأمر، فيحكم على كلّ فعل يبدأ فيه بهذه الحروف على أنه مضارع، حتى ولو كان غير ذلك، خاصة إذا كانت العلامات الإعرابية غير ظاهرة (مقدّرة)، كما هو الشأن بالنسبة للفعل تسامى، وتتالى. وفضلا عن ذلك فنعتقد أنّ للطفل ملكة تسمح له بالقياس على الأوزان الصرفية، حتّى وإن كان عاجزا على استخراجها، فهو يُدركها ضمنيا، بحيث يدرك وزن "فاعل" مثلا، ويمكن له أن يقيس عليه ويُنتج وحدات ربّما لم يسمع بها من قبل.

---

26 وقد يكون الأمر خلاف ذلك على اعتبار أنّ بعض الباحثين اللسانيين العرب، قد أسندوا إلى بعض الزوائد معاني صرفية ومعجمية بمفردها، كما تعرّضنا إليه سابقا.

خاتمة: نستخلص من خلال هذا العرض أنّ بعض اللسانيين العرب المحدثين يكونون قد تعسّفوا لمّا أسندوا إلى بعض الحروف الزائدة بمفردها دلالات صرفية أو معجمية، فجعلوا الألف في صيغة فاعل تدل على الفاعلية، وحروف (أنيت) تؤدي معنى المضارع بمفردها، كما أن (است) تفيد معنى الطلب والصيرورة، وبصنيعهم هذا يكونون قد نظروا إلى اللغة وفق نظرة تقطيعية خطّية أساسها وجود محور واحد مجسّد لها (وهو المحور التركيبي)، بحيث لا تعدو الكلمات وفق هذه النظرة سوى مجموعة من الأصوات ضمّت إلى بعضها البعض عن طريق الإلصاق، متناسين أنّ كثيرا من الكلمات في اللغة العربية تتشكل عن طريق البناء لا الإلصاق، كما أنّهم غفلوا عن وجود محور آخر للنظام اللغوي وهو المحور التصريفي التي تكون فيه الوحدات متكافئة بنيويا، مما يسمح باستنتاج مفهوم المثال أو الميزان الصرفي.

والملاحظ أنّ هذه النظرة التقطيعية قد انتقل أثرها إلى ميدان التعليم، بحيث أصبح تعليم الوحدات الصرفية في كثير من الحالات لا يأخذ في الحسبان الميزان الصرفي، بل يُراهن فقط على الزوائد التي تدخل وتخرج على الوحدة، ولكن هذا الإجراء لو صحّ مرّة، فإنه لن يصحّ مرّات، خاصة إذا كانت الوحدات الصوتية داخل الكلمة مرتبطة فيما بينها وفق علاقة بناء، ولا يخفى على أحد ما في هذا الصنيع من نتائج سلبية على عملية التعلّم.

وفي الأخير يمكن لنا أن نشير إلى أنّ بعض اللسانيين العرب حاولوا إسقاط مفهوم المورفيم (الغربي) على العربية، دون مراعاة اختلاف الخصائص الصرفية بين اللغات فوقعوا في الخطأ. ومن هنا تبدو الدعوة ملحة إلى الاعتماد على نظرية لسانية مستنبطة من دراسات مطبّقة على العربية، وتأخذ هذا الطابع التصريفي الاشتقاقي للغة العربية في الحسبان، ليتم اعتمادها في تعليم النظام الصرفي للغة العربية، وحسبنا في ذلك اعتماد النظرية الخليلية الحديثة التي تنطلق من مجهودات العلماء العرب الأوائل الذين بصُروا ببنية اللغة العربية ونظامها الخفي. وهذا من شأنه أنْ يُساعد المهتمين بتعليميته على اتخاذ أنجع الطرائق في ذلك. كما أن محاولة استغلال أية نظرية لسانية غربية (خاصة بالبنى الصرفية للغات) ينبغي أنْ يُتوخى فيه الحذر إذا أردنا تطبيقها على اللغة العربية.

قائمة المراجع:

ـــ إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، (دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007).

ـــ أحمد الحملاوي، شذا العرف في فنّ الصرف، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)

ـــ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، (دار الفكر، دمشق، 1999)، ط2.

ـــ أحمد مومن، مبادئ في اللسانيات، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002).

ـــ الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، "كتابي في اللغة العربية"، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الجزائر.

ـــ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، (منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007)، ج1.

ـــ عبد الوهاب شحاتة، "أنواع المورفيم في العربية"، مجلة علوم اللغة، (دار غريب، مصر، 1998)، مج29، ع2.

ـــ محمد محمد داوود، العربية وعلم اللغة الحديث، (دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، 2001).

- Hadj-Salah, A, Linguistique arabe et linguistique générale (Essai de méthodologie et d'épistémologie du 'ilm al-'arabiyya, thèse de doctorat, (Paris, 1979), T2.

- Neuveu Frank, Dictionnaire des sciences du langage, (Armand Colin, Paris, 2004).

- Dubois Jean (et al.), Dictionnaire de linguistique, (Larousse, 2002), 2éd.